الباب التاسع

استقلال جمهورية الشيشان

- تطور الأحداث
- دوداييف يرفض التفاوض .
- الغزو الروسي للأراضي الشيشانية .
- الإعلام الروسي وموقف المجتمع الدولي .
- جوهر دوداييف لماذا اغتالوه ؟
- أحداث داغستان ١٩٩٩-٢٠٠٠م.

obeikandl.com

obeikandl.com

الباب التاسع

استقلال جمهورية الشيشان

بدأ الاتحاد السوفييتي مرحلة التحول عن الاشتراكية ، مع تولي جورباتشوف الحكم عام ١٩٨٥م ، إذ بدأ يوجه انتقاداته إلى أسس النظام الشيوعي في ظل البروسترويكا (إعادة البناء)، والغلاسنوست (العلانية والمصارحة) ، وانتهت هذه المرحلة في نهاية عام ١٩٩١م بتفكك الاتحاد السوفييتي واستقالة جورباتشوف .

بعد انفراط عقد الاتحاد السوفييتي عام ١٩٩١م ، انفصلت جمهوريات البلطيق ، استونيا ولاتفيا وليتوانيا ، وحصلت جمهوريات آسيا الوسطى على استقلالها ، وتأسس في نفس العام اتحاد شعوب القوقاز الجبلية ، بهدف الدفاع المشترك ضد الهيمنة الروسية ، وفي عام ١٩٩٢م قرر الاتحاد تشكيل قواته المسلحة ، ثم غير اسمه ليصبح اتحاد شعوب القوقاز ، ليفسح المجال أمام شعوب أخرى في السهل الغربي ، وما وراء القوقاز لتنضم إليه .

تطور الأحداث :

في ٧ من مارس عام ١٩٩١م تأسس المؤتمر الوطني للشعب الشيشاني، وتولى زعامته الجنرال السوفييتي المتقاعد **جوهر دودايف**. وفي ٢٠من أكتوبر عام ١٩٩١م تم انتخاب دودايف رئيسا لجمهورية الشيشان، بعد انتخابات حصل فيها على ٨٥% من أصوات الناخبين، وخرج منها منتصرا، وعلى الرغم من إعلان موسكو حالة الطوارئ في الجمهورية، فقد نجح أنصار الجنرال في تطويق القوات الروسية، وأرغموها على الانسحاب من الجمهورية دون إطلاق رصاصة واحدة، واستولوا على أكثر من مائة طائرة وكميات كبيرة من الأسلحة، والدبابات والمدرعات، التي مازال استبقاؤها هناك سرا مستغلقا، ويقال أن دودايف وظف علاقاته مع زملائه السابقين في الجيش الروسي للحصول على الأسلحة التي يعتبرها الكرملين سببا أساسيا للصراع مطالبا بتسليمها للسلطة.

وتم إعلان استقلال جمهورية الشيشان عن روسيا ، أسوة بما قامت به الجمهوريات الأخرى ، ولكن موسكو ترفض هذه الانتخابات وتراها غير شرعية وترفض الاستقلال ، ويعلن الرئيس الروسي يلتسين الطوارئ ، ويبعث بقواته إلى الشيشان لإعادة النظام الدستوري في الجمهورية ، وتهبط طائراته المحملة بالجنود مطار غروزني ، وتحاصرها قوات المجاهدين الشيشان .

يزداد التوتر ويتصاعد ، ويعقبه العمليات العسكرية ، ويعقد الرئيس الشيشاني مؤتمرا صحفيا يعلن فيه (أنه حين يحترق البيت يجب إخماد الحريق ، وبعدها يمكننا تحديد ما تبقى لروسيا من مصالح في القوقاز ، لكنها لا تستطيع تجاهل حقنا في الحياة، حتى لو سحقت جبال القوقاز ، فلن يقضي على روح الشعب الشيشاني وحقه في الحياة.)

دودايبيف يرفض التفاوض مع الروس :

وتسعى روسيا للتفاوض مع الرئيس الشيشاني ، ولكن دودايبيف يرفض الاجتماع بالوفد الروسي ، إلا بعد أن تعترف روسيا باستقلال بلاده ، ويهدد دودايبيف روسيا بإغلاق حدود بلاده إذا ما حاولت فرض ضغوط اقتصادية على جمهوريته ، وبأن روسيا سوف تتأثر سلبا أكثر من تأثره هو وجمهوريته بذلك لأهمية الشيشان النفطية، ولموقعها كحلقة وصل بين روسيا والجمهوريات الشمالية .

وفي محاولة احتجاج من أبناء الشيشان قم بعض المجاهدين باختطاف إحدى الطائرات الروسية وأجبروها على الهبوط في العاصمة غروزني احتجاجا على رفض الحكومة الروسية الاعتراف باستقلالهم .

أعلن يلتسين الحرب بالوكالة على الشيشان وذلك بتقديمه الدعم المالي والمعنوي للمعارضة الشيشانية ، ثم حاولت الحكومة الروسية إرسال قوة مسلحة للاستيلاء على غروزني ، ولكنها باءت بالفشل .

وفي عام ١٩٩٢م انفصلت الشيشان عن أنجوشيا ، واتخذ الزعيم جوهر دودايبيف من العاصمة غروزني مركزا لاتحاد شعوب القوقاز الجبلية ، وطرد الجيش الروسي من أراضيه .

وفي عام ١٩٩٤م أعلنت الشيشان تحررها عن روسيا ، بالرغم من كونها جمهورية داخل الاتحاد الروسي ، وصرح المجاهد جوهر دودايبيف بإقامة دولة إسلامية متحدة مع شعوب الأنجوش وداغستان والتتار ، كما كانت من قبل برئاسة الإمام محمد شامل .

وضعت روسيا فرقا من الجنود الروس على حدود الشيشان ، وقام الشيشانيون بأسر أعدادا من الجنود الروس ، وعرضتهم على شاشة التلفاز الشيشاني ، فتعرف عليهم ذويهم ، مما أدى إلى قيام المظاهرات التي طالبت بعودة القوات الروسية من الشيشان.

أصدر يلتسين تحذيرا للشيشان بإلقاء أسلحتهم وإلا سيواجهون غزوا مسلحا لا قبل لهم به ، ورفض الشيشانيون ، وأعلن دودايبيف حرب تحرير الشيشان ، فتدفق المتطوعون من مختلف البلدان في القوقاز ، من أنجوشيا وداغستان ، ومن الذين وصفتهم موسكو بالمجاهدين الأفغان والعرب والذين قدرت أعدادهم بنحو عشرة آلاف مقاتل ، وآخرون

من أبخازيا التي اعتبرت نفسها مدينة لجوهر دوداييف الذي أرسل لهم فصيلا من قواته عرف باسم قطيع الذئاب ، لعب دورا هاما في تغيير موازين الحرب لصالح الأبخاز خلال الحرب اجورجية الأبخازية ، بل جاء أيضا متطوعون من استونيا ..جاء البعض لرد المعروف لأصحابه ، فهم مدينون بحلم الاستقلال للصديق جوهر دوداييف الذي رفض أوامر السلطات الروسية بإطلاق الرصاص على أولى التظاهرات التي طالبت بالاستقلال عن الاتحاد السوفييتي السابق ، وحينها كان دوداييف جنرالا يقود وحدة قاذفات استراتيجية للاتحاد السوفييتي تتمركز في استونيا ، قبل استقالته وعودته الشيشان ليتزعم المؤتمر الوطني الذي قاده إلى الرئاسة .

الغزو الروسي المسلم للأراضي الشيشانية عام ١٩٩٤-١٩٩٦م. :

ودخلت القوات الروسية أراضي الشيشان في ١١من ديسمبر ١٩٩٤م .، ودارت معارك طاحنة من غرفة إلى غرفة ومن شارع إلى شارع ، وسقط أوفلور نجل الرئيس جوهر متثرا بجراحه بعد أن أصيب في معركة صد الوحدات الروسية عن العاصمة، وارتكب الجيش الروسي الجرائم الوحشية ، فقتلوا النساء والولدان والشيوخ، وأهلكوا الحرث والنسل ، وصمد الشيشانيون وسجل الشعب الشيشاني بطولات رائعة ، وأبلى بلاءا حسنا وأظهر شجاعة نادرة أمام جحافل القوات الروسية ، واستمرت مقاومة غروزني ، ثم تمت عملية انسحاب المجاهدين من العاصمة ببراعة وحكمة ، اقتادوا فيها عشرات من الأسرى الروس ، وحافظوا فيه على أسلحتهم وعتادهم ، ولم تستطع القوات الروسية أسر مقاتل واحد من المجاهدين ، واستولت القوات الروسية على أطلال المدينة المهدمة بعد صمود أكثر من ٣٩يوم ، وانسحبت القوات الشيشانية إلى المناطق الجبلية ، ومن هناك واصلت القتال ، واستمر القتال ولم ينجح الروس رغم أعدادهم الغفيرة وعتادهم الحديث في أن يسحقوا المقاومة الشيشانية ، وفي النهاية انسحب الجيش الروسي بعد سنتين يجر أذيال الهزيمة .. الهزيمة التي قضت علي هيبة الروس العسكرية ، بعد أن فقد الروس جنودهم وتكبدوا الخسائر الفادحة .

ومنيت القوات الروسية بالهزائم على أيدي المجاهدين الشيشان خلال حرب العشرين شهر ، التي أعقبت الغزو الروسي للأراضي الشيشانية في ديسمبر ١٩٩٤م ، وبررت روسيا هزيمتها بأن الجيش الروسي كان يحارب العالم الإسلامي كله ، وليس بضع آلاف من المقاتلين الشيشان ، وأنهم يحاربون المجاهدين المسلمين من كل أنحاء العالم ، وليس حفنة من قطاع الطرق .

أبناء داغستان يردون الجميل للشيشان الجريح :

مع تصاعد الحرب في الشيشان ، كان قسم كبير من الداغستانيون ينتقدون حكومتهم الموالية لموسكو ، والمتخاذلة عن نصرة الشيشان ، وتداولوا في كانون الثاني ١٩٩٥م بيانا حذروا فيه أبناء القوقاز الشجعان من أن التاريخ لن يرحمهم إذا تخاذلوا عن نصرة الشيشان ، وذكرهم بأيام الإمام شامل عندما حارب الشيشانيون مع أبناء داغستان ضد القيصر .

كيف تطورت الأحداث :

في كانون الثاني ١٩٩٦م احتجز المسلحون الشيشانيون ألفي رهينة غالبيتهم العظمى من الروس في مدينة قزلر الداغستانية التي تبعد عن الحدود الشيشانية ١٥ كيلومتر ، والتي أنشئت كقلعة عسكرية في القرن الثامن عشر ، ويسكنها زهاء ٤٠٠ ألف نسمة ، وتقع على طريق استراتيجي للقطارات يربط روسيا بالقوقاز ، وعقب هذه العملية تصاعدت حدة الحرب بين الروس والشيشان ، وخطف المجاهدون الشيشان رهائن آخرين في العاصمة جروزني ، وكبدوا الجيش الروسي خسائر كبيرة أجبرت الحكومة الروسية بالاعتراف بالاخطاء الفادحة التي ارتكبت في شيشانيا .

في آب ١٩٩٦م كلف الرئيس الروسي يلتسن ، رئيس مجلس الأمن القومي الجنرال الكسندر ليبيد ، ملف الأزمة الشيشانية ، الذي انتقل لتوه إلى داغستان وطلب من المسؤليين المحليين التوسط لدى المقاومة الشيشانية لإجراء مفاوضات بينها وبين السلطات الروسية .

في كانون الأول اتفق وزير الدفاع الروسي بافل غراتشوف ودوداييف بعد محادثات بينهما أن الخلاف بين موسكو وجروزني لاتحل بالقوة العسكرية ، ولكن بعد أسبوع من هذه المحادثات اعتبر يلتسن أن استخدام القوة ضد شيشانيا واجب دستوري.

في ١٢كانون الأول اندلعت أولى المعارك الضارية قرب جروزني ، وقام الجيش الروسي بمحاصرتها من كل الجهات وشن غارات وحشية وأنذر دوداييف بالاستسلام ونزع السلاح .

في أول كانون الثاني عام ١٩٩٧م اقتحمت القوات الروسية جروزني وبدأت حرب شوارع شرسة سقط فيها آلاف القتلى ، وصمدت المقاومة الشيشانية ونجحت في إحداث الفوضى في صفوف صناع القرار الروسي .

عملية شامل باسييف في مستشفى بوديونوفسك:

في ٢٥ أيار جرت مفاوضات فاشلة لإيقاف القتال ، واستؤنفت المعارك من جديد ، ونجح شامل باسييف من أبرز القادة الميدانيين في التشكيلات الشيشانية المسلحة في احتجاز ألف رهينة بمستشفى في مدينة بوديونوفسك الروسية ، وبعد اشتبكات في شوارع المدينة مع رجال الشرطة نجح شامل باسييف ورجال المقاومة في إرغام أعداد كبيرة من المواطنين الروس على الدخول في المستشفى ، وأخفقت الشرطة الروس في إطلاق سراحهم . وجرت مفاوضات أجبرت رئيس الوزراء الروسي تشيرنوميردين على وقف العمليات لعسكرية ، والقصف المدفعي والجوي في أراضي الشيشان ،مقابل الإفراج عن الرهائن والبدء بالمفاوضات السلمية .

وتم سحب القوات الروسية من غروزني ، بعد هجوم كاسح للمقاومة في ٩تموز أثبت عجز القيادة الروسية في حسم الوضع لصالحها ، وإزاء ذلك عين يلتسن الجنرال ليبيد ممثلا له في الشيشان ، وفوضه ملفها ، فتوجه إلى الشيشان وعقد مفاوضات مع قائد قوات المقاومة أصلان مسخادوف ، بعد أن تأكد مصرع الرئيس جوهر دودابيف.

في ١٢ آب يعقد الجنرال ليبيد مؤتمرا صحفيا في موسكو يشيد فيه برجال المقاومة الشيشانية ، واعتبرهم مقاتلين شجعان واجهوا جنودا منحطي المعنويات وغير مبالين ومتعبين.

جرت مفاوضات بين ليبيد والقادة الشيشانيين ، أسفرت عن توقيع وثائق تؤكد انتهاء الحرب الشيشانية وتحدد مبادئ العلاقات بين موسكو والشيشان ، والتي نصت على أن مصير الشيشان سيحدد نهائيا قبل انقضاء عام ٢٠٠١م وقد وقع ليبيد ومسخادوف على البيان لسياسي بحضور ممثل منظمة الأمن والتعاون الأوربي ، واعترفت موسكو لأول مرة بوجود طرفين متكافئين ، الأمر الذي كرس عمليات الاستقلال.

الإعلام الروسي وموقف المجتمع الدولي:

قامت روسيا بفرض تغطية إعلامية استهدفت عزل الشيشان المسلمة عالميا ، وحرمانها من الدعم المادي والمعنوي ، وقامت بتشويه الأهداف الحقيقية المتمثلة في الاستقلال ، ومنح شعوب المنطقة حق تقرير المصير ، ونجح المخطط الروسي إلى حد كبير ، وحال دون إقدام أي من الدول الأجنبية بما فيها العربية والإسلامية على الاعتراف باستقلال الجمهورية الشيشانية .

ولم يجد أعداء الأمة المسلمة ، الذين أرهبهم الخوف من مسلمي القفقاز ، أفضل من التجربة الإنسانية في القضاء على الإسلام وتصفية وجوده ، فكانت المذابح الوحشية

لشعب الشيشان المسلم ، بمباركة أممية ودولية . وتحت غطاء دستوري وقانوني ، فقد ذهب مجلس الكنائس العالمي إلى رصد أكثر من أربعين مليونا من الدولارات ، للقضاء على مسلمي القوقاز . ولا عجب أن نجد ممثل مجموعة الدول الأوربية من خلال زيارته لروسيا حاملا هدية حربها للشيشان ، وهي اسقاط أكثر من ٣٥% من ديونها الواجب سدادها لمجموعة الدول الأوربية ، وذلك في ١٥ فبراير ٢٠٠٠م.

ووقف المجتمع الدولي متفرجا ، بحجة أن هذا الغزو يعتبر تدخلا في الشئون الداخلية لروسيا الاتحادية ، ولم يصدر سوى بيانات شجب هزيلة من بعض دول العالم، ولم يفعل العالم شيئا لوقف ممارسات الجيش الروسي ضد الشعب الشيشاني ، وبرغم التضحيات الجسام التي قدمها ، والتي تمثلت في مقتل ستين ألفا من الشعب الشيشاني ، إضافة إلى مائة ألف جريح ، وتشريد نصف مليون من الشعب الشيشاني لاجئين في الجمهوريات المجاورة ، وبوجه خاص في الداغستان وأنجوشيا ، بعد تدمير شامل لمعظم القرى والمدن الشيشانية ، وبرغم اغتيال الزعيم الشيشاني جوهر دودايف بالصواريخ عقب متابعة كلماته عبر الهاتف المحمول .

جوهر دودايف .. ولماذا اغتالوه ؟

جوهر دودايف ، هو جوهر موسى دودي ، ولد في ٥ أيار عام ١٩٤٤م في قرية بيرفومايسكويه على سفوح جبال القفقاس ، وعرف حياة المنفى مع والديه إذ بعد ثلاثة أشهر من حملة التهجير الكبري التي ارغم ستالين خلالها مئات الألوف من الشيشانيين على مغادرة ديارهم في ليلة ظلماء إلى سهوب كازاخستان وسيبيريا ، بعد أن اتهمهم بالتواطوء مع الألمان ، وكان من بينهم عائلة جوهر دودايف ، وهناك في سيبيريا لم ينسهم البرد القارص في المناطق القطبية أرض القوقاز وبطولات الأجداد ، الذين حاربوا الامبراطورية الروسية خمسين عاما لدرء عار الاحتلال عنها .

وكسائر أترابه شب جوهر وهو يلهج سرا باسم الإمام شامل باني دولة الإمامة، والشيخ منصور أبرز القادة العسكريين الذين بوخوا الروس . ولم ينس أنه أجبر على الهجرة من وطنه وهو رضيع عام ١٩٤٤م مع أكثر من نصف مليون شيشاني باضطهاد من ستالين شتت به شمل المسلمين جميعا في الاتحاد السوفييتي بعد الحرب العالمية الثانية، بحجة وقوفهم إلى جوار الألمان ، وسمع دودايف من أبيه وهو صغير قصة الاضطهاد الكبرى التي يعيشها المسلمون في القفقاس ، فعاش ينتظر ويخطط لذلك اليوم الذي أطلق فيه صرخته المدوية عقب انتخابه رئيسا لجمهورية الشيشان عام ١٩٩١م حين قال:

" أطلب من جميع الشعوب الإسلامية باسم حريتنا تحويل موسكو إلى منطقة منكوبة.. إن القسم على المصحف يلزمني أكثر مما يلزمني أى دستور وضعي ..إذا اتخذت موسكو أى خطوة ضدنا فإننا سندعو المسلمين المقيمين في موسكو إلى تحويل موسكو إلى مأساة عصيبة ، وصب جام غضب الشعوب المسلمة في شمال القوقاز وآلامها والرعب والمعاناة التي عاشتها على موسكو "

بعد إعادة الاعتبار إلى الشيشانيين عام ١٩٥٧م في عهد الرئيس نيكيتا خرتشوف ، إثر تنديده بجرائم سلفه ستالين ، عاد آل دوداييف إلى الوطن ، ثم يلتحق دوداييف بكلية الطيران الحربي في مدينة تاميوف بروسيا ، ويصبح جوهر دوداييف طيارا ، ويرتقي بسرعة ويكون أول جنرال شيشاني في الجيش السوفييتي ، وتسند إليه قيادة فرقة القاذفات الاستراتيجية المرابطة في إستونيا من جمهوريات البلطيق، بعد أن يتخرج من أكاديمية جاجارين العليا للطيران .

اختار دوداييف التوقيت المناسب عام ١٩٩١م ليعلن فيه استقلال بلاده عن روسيا، ويطالب بحق تقرير المصير ، فقد كان نجم الرئيس الروسي جورباتشوف في ذلك الوقت قد بدأ بالأفول ، وكانت لروسيا مشاكل أكبر من الشيشان ، فقد كان البرلمان الروسي يستعد للتمرد ، وأقاليم أخرى تتململ وتعد للاستقلال . وبمجرد إعلان الاستقلال شرع الرئيس الشيشاني في صك عملة مستقلة لدولة الشيشان ، وطباعة جوازات للمواطنين ، وطباعة طوابع بريد ، وبعث باثنين من الشيشانيين إلى لندن سرا لطباعة الجوازات والعملة ، ولكنهما قتلا هناك.

تعاطف مع الرئيس دوداييف ، وقضية استقلال الشيشان ، كل جمهوريات القوقاز ، فبمجرد إعلان الحرب عليه أسرعت أنجوشيا باستنكار الحرب على الشيشان، وفتحت أراضيها لمجاهدي الشيشان ، وكذلك فعلت جمهورية داغستان ، وكلاهما تابع لروسيا الاتحادية ، وحتى الجماعات المعارضة طرحت خلافاتها جانبا من أجل مساندة وتأييد الرئيس الشيشاني ، وتدفقت أعداد من المتطوعين على عاصمة الشيشان للوقوف بجانب إخوانهم الشيشانيين ،توافدت على جروزني عشرات القطارات التي تحمل آلاف المتطوعين المسلمين من كافة الجمهوريات الإسلامية ، ووقفوا غداة إعلان الحرب أمام مبنى الرئاسة في جروزني ، وبنادق الكلاشينكوف تتدلى من على أعناقهم ، ويرفعون أيديهم إلى السماء من أجل النصر . ولا يعرف من أين اشتعلت جذوة الجهاد في نفوس هؤلاء بعد ما يزيد على سبعين عاما من قهر الشيوعية وقبلها أكثر من مائة عام من القهر الروسي .

والغريب الذي تعجب له الناس حينئذ ، أن جمهوريات البلطيق البعيده عن القوقاز أيدت بحماس استقلال الشيشان ، إذ كان ذلك ردا للجميل للضابط الذي رفض أوامر

الكرملين بقمع انتفاضة ريغا عاصمة استونيا عام ١٩٨٩م حيث كانت قوات الجنرال دوداييف ترابض بالقرب منها .

كان الزعيم جوهر دوداييف ، ضابطا طيارا شيشاني الأصل ، مسلم تقليدي ، محب للعرب نادى بوجدة شمال القوقاز ، وهو مجاهد من الطراز الأول ، وله عبارته الشهيرة (**إنه لأكرم للمرء أن يعيش مجاهدا على أن يعيش في ظل الرق والعبودية**). تربى دوداييف تربية صوفية على الطريقة الصوفية النقشبندية التي انتشرت في منطقة القوقاز ، وانضوى تحتها مئات الألوف بل ملايين المجاهدين ، وكان لهذه الطريقة أعظم الأثر في إذكاء روح الجهاد والمقاومة ليس في القوقاز فحسب بل في جميع الأراضى الروسية التي وقعت فريسة تحت الاحتلال الروسي .

وعلى الرغم من تربية دوداييف العسكرية ونشأته الجبلية ، وطفولته التي قضاها في المنفى الإجباري الذي أمر به ستالين ، كان رقيق الحاشية لايميل إلى العنف بأى شكل من الأشكال ، وكان متمسكا بأفكاره الدينية ، فمنع ممارسة الطب النسائي على الأطباء الرجال ، وأعاد افتتاح ١٥٥٠ مسجدا كان الشيوعيون قد أغلقوها، واتخذ قرارا بتبني الدولة النشاط الثقافي الإسلامي والدراسات الإسلامية ، فأنشأ في جروزني معهدا للدراسات الإسلامية ، وعلى الرغم من أنه كان على المذهب الحنفي إلا أنه دعم إقامة معهد الإمام الشافعي للدراسات الإسلامية واستقدم له معلمين عرب .

أعلن دوداييف أن الدولة لايمكن أن تقف موقف اللامبالاة تجاه الدين ، وإنما ستعمل على التغلب على آثار الإلحاد الروسي ، وأنها ستولي الدين اهتماما خاصا لأنه يمثل ذلك الأساس الذي يتعرض للتفسخ ، ولا يزال يتعرض للحصار كى لا يتمكن الناس من تحقيق الوحدة من خلاله .

وفي فبراير عام ١٩٩٣م تقدم دوداييف بمشروع خاص للإصلاح الدستوري نص على إعلان الإسلام دينا للدولة وإدخال المحاكم الشرعية مع المحافظة على المحاكم العلمانية ، وفي أوائل شهر مارس عام ١٩٩٥م قررت السلطات الشيشانية إعطاء مكانة أكبر للدين من خلال تطبيق الشريعة الإسلامية ، وفي اجتماع للمؤتمر الشعبي عقد في مدينة شالي الواقعة جنوب شرق جروزني قرر المؤتمر تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية في الشيشان مع إبقاء المحاكم المدنية للنظر في قضايا غير المسلمين ، وإعطاء السلطات الدينية مكانة أكبر في الحياة الاجتماعية في البلاد ، وأصبح لذلك على طلاب المدارس ضرورة تعلم اللغة العربية لقراءة القرآن الكريم .

حرب الشيشان الثانية ١٩٩٩-٢٠٠٠م.

الأسباب الحقيقية للحرب :

على الرغم من أن روسيا لقيت هزيمة ثقيلة في حربها ضد الشيشان عام ١٩٩٦م . وأسفرت عن اعتراف روسيا باستقلال الشيشان . إلا أنها هذه المرة دخلت حربها ضد الشيشان بقوة وشراسة وتدمير البنية التحتية للبلاد ، وبمطالبة شعبية بضرورة سحق الشيشان والشيشانيين ، مع أن الشعب الروسي نفسه هو الذي طالب يلتسن بضرورة وقف الحرب عام ١٩٩٦م والانسحاب من الشيشان والاعتراف باستقلالهم خاصة بعد وصول آلاف التوابيت الممتلئة بالجنود القتلى الروس إلى موسكو .

أقدمت روسيا هذه المرة في حربها ضد الشيشان ، بعد أن مهدت لها إعلاميا بنجاح، فأنشأت مسبقا مركزا إعلاميا ضخما لبث التقارير اليومية المكتوبة والمصورة، ونتيجة لذلك تغيرت صورة الشيشان لدى الشعب الروسي وأصبح يطالب بسحق الشيشان والشيشانيين .

ولم يكن سبب إقدام روسيا للهجوم على الشيشان ، هو كما زعمت وسائل الإعلام الروسية والغربية ، القضاء على الإرهاب الإسلامي بزعامة شامل باسييف ورفيقه خطاب، ولكنها كانت الذريعة لكي تبرر روسيا حربها على الشيشان ، إذ أن الشئ المؤكد هو الحقد الدفين على الإسلام والمسلمين ، وطغيان المصالح المادية على حساب أي مبادئ أو أخلاقيات تتحدث عن حقوق الإنسان ، وغير ذلك مما تلوكه الألسنة وتتغنى به منظمات حقوق الإنسان ووسائل الإعلام في تقاريرها .

لقد توافقت مصلحة روسيا مع مصالح الغرب الصليبي ، في القضاء على المجاهدين الذين يسمونهم باسم الإرهابيين ، وفي نفس الوقت كان استنزاف ما تبقى من قوة روسيا هدفا استراتيجيا دائما للغرب ، وحتى لا تقوم قائمة لأى كيان إسلامي في هذه المنطقة الغنية بمواردها وتراثها وحضاراتها .

كما أنه من الشئ المؤكد أن روسيا خافت من ضياع ثروة طائلة متمثلة باكتشاف احتياطي بترول بحر قزوين ، يقدر إجمالي ثمنه بحوالي ٤٠٠٠ مليار دولار، وأرادت روسيا أن تنفذ إلى بحر قزوين عن طريق الشيشان وداغستان وتسيطر على الثروة الطائلة، وتخرج من حربها وقد ربحت مليارات الدولارات .

ولمعرفة أهمية بترول بحر قزوين ، والذي تضع أذربيجان يدها على كميات كبيرة منه ، فقد طلبت أذربيجان من أمريكا أن يتم نقل قاعدة أنجرليك التابعة لحلف الناتو من مقرها في تركيا إلى أذربيجان ، لحمايتها من أطماع روسيا وأرمينيا على حد سواء ، وقد

أولت الولايات المتحدة اهتماما كبيرا بهذا الشأن أثناء قمة الأمن والتعاون الأوروبي في اسطنبول.

أحداث داغستان ١٩٩٩-٢٠٠٠م.

أعلنت الشيشان استقلالها من جانب واحد ، بعد انسحاب الروس في أغسطس عام ١٩٩٦م ، وكان حصاد العمليات والممارسات الوحشية الروسية ، عشرات الألوف من القتلى والجرحى والمشردين ، ورغم ذلك كله أصر الروس على قمع كل صوت ينادي بالحرية الإسلامية في القوقاز ، فنال الجماعات والحركات الإسلامية في جمهورية داغستان المجاورة للشيشان ، ذات المليوني نسمة ، ما نالها من القمع والقتل والتشريد ، خاصة العلماء والدعاة والأئمة منهم ، فهدموا مساجدهم ومدارسهم ، وأغلقوا مراكزهم الإسلامية ،وأرهبوهم بكل أنواع الإرهاب ، وما كان منهم إلا أن استغاثوا بإخوانهم في العالم الإسلامي ، ليدفعوا عنهم عدوان الروس البربري المتوحش ، فلم يجبهم إلا إخوانهم الشيشانيون وبعض المجاهدين العرب الذين اشتركوا في هزيمة القوات الروسية في أفغانستان عام ١٩٨٩م ..وكانت جروزني قد أصبحت ممرا وملتقى لهم ، نشروا فيه فنونهم القتالية التي تعلموها على أيدي القوات انباكستانية الخاصة، وعملوا على تدريب عناصر شيشانية شابة.

وكان المجاهدون قد قاموا بدراسة شاملة للأوضاع العسكرية والإقتصادية والإدارية في المنطقة ، ووجدوا أن التصدي للغطرسة والعنجهية الروسية مناسبا ، وتوصلوا إلى أن تهديد روسيا المتكرر للشيشان وللمجاهدين خاصة ، ولاسيما وأن الروس كانوا يعدون العدة لغزو الشيشان من جديد انتقاما وثأرا لهزيمتهم في الحرب السابقة . ، وعقد المجاهدون لذلك الأمر عدته .

أخذ المجاهدون بأسباب الاجتهاد ، ومن هذه الأسباب التي اتخذوها [١]:

[١] الدراسة العسكرية للوضع في الشيشان وداغستان ، بل وما جاورهما منذ سنتين أو أكثر ، حيث أفادت هذه الدراسة أن هذا الوقت هو أنسب الأوقات من حيث المقومات العسكرية للعدو وللمجاهدين .

[٢] الاستشارة فيما بينهم في هذا الأمر ، وفيما بينهم وبين إخوانهم في داغستان ، وقد شكل لأجل ذلك مجلس شورى بين علماء الشيشان وداغستان وأهل الرأى فيهما ، وكان هذا المجلس قد بحث وتداول هذه القضية من جميع جوانبها تغلبا للمصالح ودرءا للمفاسد ، وترجيحا فيما بين المفاسد .

---

(١) إصدارات المركز الإعلامي للقوقاز

[٣] استشارة بعض أهل العلم من خارج المنطقة كلها في العالم الإسلامي .

[٤] وضع روسيا الإداري والاقتصادي كان سببا في استغلال الفرصة حال ضعفها واضطرارها الإداري ، لاسيما أنها كانت تعد العدة وعازمة على غزو الشيشان من جديد ، وكما كان يقول بعض قادة الجيش بعد خروجهم في الحرب الأولى : سنرجع إلى الشيشان ولو بعد خمسين سنة ، فالانتظار حتى تستقر روسيا سياسيا واقتصاديا وعسكريا يعتبر خطأ أعظم ، فالوقت في صالحها لتتقوى وهو ليس في صالح المجاهدين .

[٥] وضع الشيشان من حيث العزلة المفروضة عليه ، فكان يجب على المجاهدين العمل على فتح طريق إلى وعبر داغستان إلى العالم الخارجي ، وهذا مكمل للجهاد الأولى فلا معنى لدولة معزولة ، ولابد لهم من طريق يخرجون منه إلى العالم ، والتساهل في مثل هذا الأمر قديكون سببا لسقوط الشيشان في أيدي الروس من جديد .

[٦] تهديد روسيا المتكرر للشيشان وللمجاهدين خاصة ، فاحتاج الأمر مباغتتهم، على أساس مبدأ خير وسيلة للدفاع الهجوم ، خاصة أن المجاهدين كانوا قد قبضوا على شبكة تجسس روسية من بينهم رتبا عالية ، وبالتحقيق معهم اعترفوا بأن الروس على وشك اجتياح قريب لأرض الشيشان ، وقام المجاهدون بتصوير الجواسيس وتم عرضهم على التلفاز الشيشاني .

بدأ الروس بالتحرش بالمسلمين في داغستان ، والتضييق عليهم وقتل بعض الشباب واعتقال عدد ليس بقليل ومنعوهم من بعض حقوقهم حتى صلاة الجمعة في بعض المساجد والدراسة فيها ، بل وهدم بعضها . و في الخامس والعشرين من شهر ربيع الثاني ١٤٢٠ من الهجرة ، قام الروس بقصف وحشي على كل القرى الداغستانية ، وحاصروها حصارا شديدا وخاصة إقليم كرماخي ، وقتلوا على إثر ذلك أكثر من عشرة آلاف مسلم ، وشردوا العشرات مثلهم ،بعد أن أعلن وزير الداخلية الروسي أن المقاتلين الإسلاميين في داغستان قد تلقوا دعما من منظمات منتطرفة،عقدت اجتماعا في كراتشي ، أمنها لها الشيخ بن لادن!! ولم يكتف الروس بعملياتهم الوحشية داخل الأراضي الداغستانية ، فاجتاحوا الأراضي الشيشانية في الثالث عشرمن شهر جمادى الأخرة ١٤٢٠ ، وقاموا بإنزال قواتهم ، وذلك بدعم من الدول الغربية الحامية لحقوق الإنسان !! وقتلوا عشرات الآلاف ، وشردوا مئات الآلاف ،وما زالت تمارس أقذر حرب إبادة عرفتها الحروب في التاريخ أفرزت نتائج أشد مأساوية من الحرب الأولى ، لأن الآلة العسكرية الروسية استخدمت أسلحة أكثر تطورا ، استخدموا فيها الأسلحة الفتاكة ، وأدوات التدمير الشامل المحظور استعمالها دوليا من قذائف انشطارية ،وقنابل عنقودية ، وصواريخ مدمرة ، وانتهجوا

سياسة الأرض المحروقة لإخضاع الشعب الشيشاني ، وارتكبت فيها المجازر ما يشيب لها الولدان ، وبدعم من الكيان الصهيوني الذي كلف جهاز الموساد بمساعدة القوات الروسية في القضاء على التمرد الإسلامي .

وبدلا من أن تتخذ كل القوى والدول الإجراءات والوسائل لمنع هذه الحرب الظالمة ،وتعمل على إيقاف هذا النزيف الدموي الرهيب ، وأن تخرج من صمتها الرهيب نصرة لشعب لا ذنب له ولا جريرة إلا أنه أبى أن يفرط في أرضه وكرامته وسيادته ، وبدلا من أن يتدخل الغرب لوقف المجازر التي ترتكبها القوات الروسية ، يعلن رئيس مكتب التحقيقات الأمريكي أنه سوف يقف بكل ما يملك وجهازه بجانب القوات الروسية في القضاء على الإرهابيين !! ويعلن الرئيس الأمريكي أنه سوف يدعم المساعي الروسية لإحلال الأمن في روسيا بكل الوسائل ، ورافق هذا الإعلان استعداد الاستخبارات البريطانية تقديم المساعدة للروس للقضاء على الإسلاميين ، أما رئيس كندا فيصرح بأنهم يؤيدون الحكومة الروسية في استخدامها القوة لوقف التمرد .

وعلى الرغم من مرور أكثر من تسعة أشهر على بداية العمليات العسكرية ، لازالت تداعيات العدوان الروسي على الشيشان وشعبها المسلم تتوالى ، وسط صمت دولي مطبق ورهيب على ما يحدث من دمار وموت وهلاك ، يقع كل ذلك تحت سمع وبصر من يزعمون أنهم دعاة الديمقراطية والحرية ، وحماة حقوق الإنسان وحقوق الشعوب في تقرير مصيرها !!

في ظل هذا التواطؤ المخزي تتواصل الهجمة الوحشية ، لتزيد من فضح حقيقة ما يسمونه بالنظام العالمي الجديد أو العولمة، ويكشف عن عمق الأزمة اللا أخلاقية التي يعاني منها هذا النظام ، الذى لم يقم على أي مبدأ من مبادئ العدل ، أو أى صفة من صفات الإنصاف ، ولم يهدف من بدايته إلا إلى احتواء العالم الإسلامي والسيطرة على مقدراته وثرواته ، وتمزيق كيانه والحيلولة بين المسلمين وبين ظهور أى قوة لهم في أى بقعة من بقاع العالم ، كما يهدف إلى تشجيع كل الدول والأنظمة والحكومات والعصابات التي تقوم باضطهاد المسلمين أو قمعهم أو تصفية وجودهم في كل مكان أن تمارس جرائمها دون ضغوط حقيقية.

هل نجحت روسيا في تحقيق أهدافها ؟؟

كلا إنها تدفع الثمن غاليا .. بعد أن فشلت كل التقنيات الحديثة أمام معنويات المجاهدين ، وبعد أن فشلت كل خطط الجنرالات العسكريين الروس ، وبعد أن فشلت خططهم السياسية في إخضاع الشعب الشيشاني المسلم . عدد قتلاها في ازدياد كل يوم.. الروح المعنوية للمجاهدين مرتفعة ، و الروح المعنوية لدى الجنود الروس في الحضيض،

وتفر أعداد كبيرة منهم وأخرى تلجأ للانتحار ، ونفقات الحرب مهلكة بالنسبة للاقتصاد الروسي المنهار ، واستمرار الحرب يمثل كارثة عليها بكل المقاييس، وربما أدت إلى تفكك الاتحاد الروسي وانهياره ، وربما أسهمت هذه الحرب الظالمة في رسم خارطة جديدة لقوقاز وآسيا الوسطى ، بعد غرق الروس في المستنقع القوقازي ، وإخفاقهم في وأد الجهاد الإسلامي أمام ازدياد صلابة المجاهدين .. ورد الله كيد المعتدين في نحورهم.

كلمة أخيرة في الخاتمة للعالم الإسلامي :

إن المثير للأسى والبعيد عن المنطق والمخالف للمصلحة العربية الإسلامية ، هو الصمت المميت والتخاذل المشين الذي تمارسه دول وشعوب العالم الإسلامي وحكوماته ، ومؤسساته الناطقة باسمه والمعبرة عن سياساته ، وكأن الأمر لا يعنيها من قريب أو بعيد، وكأنها في مأمن من الخوف والخطر والدمار الذي يحيق بالشعب الشيشاني المسلم، بينما الحقيقة على خلاف ذلك .

إن ما يتعرض له شعب الشيشان من مجازر وانتهاك صارخ لحقوق الإنسان إنما هو جزء من لعبة دولية كبرى ضد العالم الإسلامي بأسره ، وإيقائه محاصرا بالمجاعات وبالحروب وبالفتن الداخلية ، وبتفكيك أوصاله ونهب ثرواته .

وإذا كنا نلوم الغرب على التواطؤ مع قوى الظلم والعدوان . فإن اللوم الأكبر نوجهه إلى لدول الإسلامية شعوبا وحكومات ، وندعوها إلى النهوض بما يمليه عليه دينها ومصلحتها وكرامة أمتها ، وأن تتدارك الأمر بتوحيد الصف ووقف العدوان على المسلمين في كل البقاع .

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت
أستغفرك وأتوب إليك .